الاتجاهات الفكرية لدى نحاة الأندلس في القرن السادس الهجري

أ. معتز إبراهيم عواد

الجامعة الإسلامية – غزة– فلسطين

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن اتجاهات نحاة الأندلس الفكرية في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، وإعطاء نبذة أحوال الفكر النحوي في الأندلس، وأثر مدرستي الكوفة والبصرة فيه، ثمَّ البحث من خلال مؤلفاتهم عن اتجاهاتهم الفكرية، وإعطاء نماذج لهذه الاتجاهات، وذلك من خلال ملاحظة منهج النحاة في التأليف، وموقفهم من نحاة البصرة والكوفة، وإبراز أهم ملاح التجديد لديهم.

Abstract

This research seeks to uncover the trends of Andalusian grammarians in the sixth century AH (12th century AD), and give a brief description of the grammatical thought in Andalusia, and the impact of schools Kufa and Basra, and then to search through their writings on their intellectual orientations, and to give examples of these trends, by observing the curriculum of the grammarians in the composition, and their position of the bakeries of Basra and Kufa, and highlight the most important navigator of their renewal.

المقدمة:

يُعدُّ النحو العربي من أعظم العلوم العربية أصالة، وأوسعها مادة، وأغزرها تراثاً، ولا شك أنَّ المؤسسين الأوائل لهذا العلم أرادوا من خلاله صون اللغة العربية من اللحن والخطأ، وكان النحو قد مرَّ في القرون الهجرية الأولى بعِدة مراحل تمثلت في البناء والتأسيس، وتنوعت خلال هذه الفترة اتجاهات النحاة الفكرية، وهذه الدراسة تصب كل تركيزها على تحديد اتجاهات الفكر النحوي عند نحاة الأندلس في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي).

منهج البحث: اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على تحديد اتجاهات الفكر النحوي في الأندلس، ثم يتم إخضاع هذه الاتجاهات للدراسة والتحليل، مع إبراز عددٍ من النماذج التي قدَّمها نحاة القرن السادس الهجري.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى الكشف عن اتجاهات الفكر النحوي لدى علماء القرن السادس الهجري في الأندلس، وإعطاء نماذج لعددٍ من النحاة في هذا القرن.

حدود البحث: الحدود الزمانية لهذا البحث تتمثل في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، أمَّا الحدود المكانية فتتمثل في المساحة للأندلس، وتمَّ اختيار عددٍ من النحاة الذين ينتمون لهذه البيئة وهم: أبو القاسم السهيلي، وابن مضاء القرطبي.

❖ **الفكر النحوي في الأندلس بين مدرستي الكوفة والبصرة**

كان الاتجاه الكوفي سائداً في بدايات الفكر النحوي في الأندلس، ويرجع ذلك إلى العالم جودي بن عثمان[1]، الذي رحل إلى المشرق والتقى الكسائي والفرَّاء، ثمَّ عاد إلى الأندلس، فكانت كتبهما "موضع اهتمام نحاة هذه المرحلة، فدرسوها وشرحوها، وألَّفوا نحوها"[2]، وقد ساهم ذلك في انتشار أفكار واتجاهات المذهب الكوفي في الأندلس.

وفيما يلي تتلخص أبرز الأسباب التي أدَّت إلى اهتمام الأندلسيين، والمغاربة بالنحو الكوفي دون النحو الأندلسي[3]:

---

[1] جودي بن عثمان مولى لآل يزيد بن طلحة العنبسيين، من أهل مورور من بلاد الغرب، رحل إلى المشرق فلقي الكسائي والفراء وغيرهما، وهو أوّل من أدخل كتاب الكسائي إلى الغرب، وسكن قرطبة بعد قدومه من المشرق، توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة. انظر: الحموي، *معجم الأدباء*، (ج2/ 802).

[2] الحديثي، خديجة، *المدارس النحوية*، (ص311)، وانظر: ضيف، شوقي، *المدارس النحوية*، (ص289).

[3] انظر: عصيدة، فادي، جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، (ص12-14).

1. **نشأة المدرستين: (البصرة والكوفة)**

اهتمت المدرسة البصرية بالنحو قبل المدرسة الكوفية بقرابة قرنٍ من الزمان، ولمَّا بدأ نحاة الأندلس يطلبون النحو كانت المدرسة البصرية قد اكتملت آراؤها، أمَّا المدرسة الكوفية كانت في بداياتها، فكانت آراؤهم أكثر بساطةً، وأقل تعقيداً.

2. **كثرة الرواية عن العرب:**

امتازت المدرسة البصرية بوضع قوانين وأسس معقَّدة للنقل عن العرب، أمَّا الكوفيون فلم يكونوا بهذا التعقيد، فكانت أيسر على الأندلسيين؛ كونهم حديثي العهد بهذا العلم.

3. **اعتماد الكوفيين على السماع والتقليل من القياس:**

لم يهتم نحاة الكوفة بالحدود الزمانية والمكانية التي تشدَّد فيها البصريون، فكانت اللغة لديهم كلها حُجَّةً، دون تفضيل قبيلة على أخرى، أو شخصٍ على آخر، فكان هذا التيسير حافزاً للأندلسيين للاهتمام بالنحو الكوفي.

4. **طبيعة الكتب الكوفية:**

كانت الكتب الكوفية في بداياتها سهلةً وبسيطة، وتخلو من التعقيدات، إذ كانت الكتب مختصرة تُعطي الفائدة دون توسُّعٍ أو تعمُّقٍ في الأفكار، فكانت خير وسيلة تعليمية لقومٍ حديثي العهد بالنحو العربي.

أتاحت هذه الأسباب مجتمعة لنحاة الأندلس مجالاً واسعاً لإعمال الفكر النحوي، ومضت السنون التي كان فيها المذهب الكوفي اتجاهاً فكرياً سائداً بين نحاة الأندلس، وحلَّت بالأندلس مرحلة جديدة من مراحل الفكر النحوي، وبرزت هذه المرحلة عندما رحل محمد بن موسى بن هاشم[1] إلى المشرق، حيث التقى أبا جعفر الدينوري[2]، وأخذ عنه كتاب سيبويه

---

[1] محمد بن موسى بن هاشم بن يزيد النحوي الأندلسي، كان متصرفاً في علم الأدب والخبر، ورحل إلى المشرق فلقي أبا جعفر الدينوري، وانتسخ كتاب سيبويه من نسخة واحدة، وأخذه عنه رواية، توفي في رجب سنة سبع وثلاثمائة. انظر: القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج3/ 216).

[2] أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو جعفر الكاتب ولد ببغداد، وروى عن أبيه كتبه المصنفة، وولي قضاء مصر، وأقام بها إلى أن وافاه أجله، وتوفي في شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة. انظر: القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج1/ 81).

وعاد به إلى الأندلس؛ ليعلمه لتلاميذه، ثم تبعه عدد آخر من العلماء الذين اهتموا بكتاب سيبويه[1].

بدأ الأندلسيون بعد ذلك ينهلون من كتاب سيبويه، وارتحل عدد منهم إلى المشرق؛ لدراسة النحو البصري، فتفتحت آفاقهم على الاتجاه البصري، وأعجب الكثير به، ثمَّ بدأت تتبلور في القرن الخامس الهجري اتجاهات فكرية أهلت لبروز مدرسة نحوية جديدة، تحت اسم المدرسة الأندلسية المغربية، حيث كان الأعلم الشنتمري[2] أبرز أعلامها، الذي جمع بين الدراسات اللغوية، والمسائل النحوية[3].

واستمر الحال على ذلك وصولاً إلى القرن السادس الهجري، حيث "ظلَّ علماء الأندلس يتوالون ويتابعون، وينهلون من منابع النحو الثلاثة –الكوفي، والبصري، والبغدادي– ويجمعون بينها فيما يدرسون ويصنِّفون، ويتعمَّقون في فهم دقائق النحو، واستحكام أحكامه، وتعليل قضاياه، وحذق أصوله، والتبحُّر في فروعه"[4].

لعل أبرز ما ظهر في القرن السادس الهجري استغناء نحاة الأندلس عن المشارقة، واعتمادهم على أنفسهم، بل "إنَّهم عَدَلوا عن بعض آراء المشارقة في النحو، وخالفوهم في منهاج تعليمه وتدوينه، واستدركوا عليهم مسائل فاتتهم، وبذلك استحدثوا مذهباً رابعاً عُرف بمذهب المغاربة أو الأندلسيين، ظهرت مبادئه من أوائل القرن الخامس الهجري"[5].

يُلاحظ مما سبق أنَّ النحو الأندلسي قد مرَّ بثلاث مراحل، المرحلة الأولى كانت كوفية بامتياز، وتمثلت هذه المرحلة بالتعرف على أبرز أساسيات النحو العربي، أمَّا المرحلة الثانية

---

(1) انظر: الحديثي، خديجة، *المدارس النحوية*، (ص311)، وضيف، شوقي، *المدارس النحوية*، (ص289-290).

(2) أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي، المعروف بالأعلم من أهل شنتمرية الغرب، رحل إلى قرطبة في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وأقام بها مدة، وأخذ عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الإفليلي، وأبي سهل الحراني وأبي بكر مسلم بن أحمد الأديب، وكان عالماً بالعربية واللغة ومعاني الأشعار، وتوفي سنة ست وسبعين وأربعمائة بمدينة إشبيلية من جزيرة الأندلس، وشنتمرية: بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها والميم وكسر الراء وبعدها ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة، وهي مدينة بالأندلس في غربها. انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج7/ 83).

(3) انظر: ولد أبّاه، محمد المختار، *تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب*، (ص225).

(4) روّاي، صلاح، *النحو العربي: نشأته تطوره مدارسه رجاله*، (ص678).

(5) الطنطاوي، محمد، نشأة النحو: وتاريخ أشهر النحاة، (ص220).

فكانت مرحلة التبحُّر في جميع اتجاهات النحو والتعرُّف على مخرجاته، فامتازت هذه المرحلة بعمل المقارنات والموازنات بين من سبقوهم في هذا المضمار، فقارنوا آراء الكوفيين مع البصريين مع البغداديين، ثمَّ جاءت المرحلة الثالثة والختامية، وهي مرحلة النضوج والبروز النحوي، وأكثر ما تميَّزت به هذه الفترة هو أنَّ أغلب علماء النحو فيها تتلمذوا على يد علماء أندلسيين، على عكس من سبقوهم الذين تتلمذوا على يد المشارقة، سواء في الأندلس من قبل من ارتحل إليها من علماء المشرق، أو من ارتحل من علماء المغرب إلى المشرق، ومن هنا كانت بوادر الاستغناء عن المشارقة، بل ومجاراتهم أو الاستدراك عليهم أو معارضتهم في بعض الأحيان، وبهذا صنع الأندلسيون والمغاربة اتجاهاً نحوياً جديداً، فرض نفسه على النحو العربي، وأضحى أحد أهم مدارس النحو العربي.

❖ نماذج من اتجاهات نحاة الأندلس في القرن السادس الهجري

نعرض تحت هذا عنوان نماذج من مناهج التأليف التي اتبعاها أبرز النحاة في الأندلس، ثمَّ نتحدَّث عن موقفهم من البصريين والكوفيين، وذلك من خلال إبراز أهم الآراء البصرية والكوفية التي اختاروها، ثمَّ نكتشف ملامح التجديد المُتمثل في الآراء النحوية الجديدة وغير المسبوقة التي نادى بها عدد من نحاة الأندلس في القرن السادس.

أولاً: أبو القاسم السهيلي (508 – 581 هـ)

نسبه، ومولده: أبو القاسم، وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن حبيش ابن سعدون بن رضوان بن فتوح السهيلي الإمام الخثعمي الأندلسي المالقي الحافظ، ولد سنة ثمان وخمسمائة بمدينة مالقة[1].

طلبه للعلم، وأهمُّ شيوخه: تنقَّل السُّهيلي بين العلماء آخذاً عنهم خلاصة أفكارهم، ومع أنه تعرَّض لفقدان بصره وهو ابن سبع عشرة سنة، لكنَّ ذلك لم يمنعه عن مواصلة طريق العلم، فتتلمذ على يد عدد من أبرز علماء الأندلس، ومن أبرز شيوخه: أبو الحسين بن

---

(1) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج3/ 143-144)، والزركلي، *الأعلام*، (ج3/ 313)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 162)، ابن كثير، *البداية والنهاية*، (ج16/ 574)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 81)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص181)، والصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج18/ 100-101).

الطراوة، حيث أخذ عنه كتاب سيبويه، وسمع منه كثيراً من اللغة والآداب، وتخرَّج على أبي بكر بن العربي[1].

أبرز تلاميذه: تصدَّر السُّهيلي للإقراء والتدريس والحديث، وذاع صيته، وجل قدره، إذ جمع بين الرواية والدراية، ونمي خبره إلى صاحب مراكش فطلبه إليها وأحسن إليه، وأقبل بوجه الإقبال عليه، وأقام بها نحو ثلاثة أعوام[2]، وتتلمذ على يديه كثير من التلاميذ، ومن أبرزهم: أبو بكر عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصاري، الأندلسي، المالقي، المشهور: بابن القرطبي، المتوفى سنة إحدى عشرة وستمائة[3]، وأبو علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي، الإشبيلي، الأندلسي، النحوي، الملقب بالشلوبين، المتوفى سنة خمس وأربعين وست مائة[4]، وأبو الحسين عبيد الله بن عاصم بن عيسى الأسدي، المتوفى سنة تسع وأربعين وست مائة[5]، وبسام بن أحمد بن حبيش بن عمر بن عبد الله بن شاكر أبو الرضى الغافقي الجياني، المتوفى سنة إحدى وثلاثين وستمائة[6]، وعمر بن عبد المجيد بن عمر الرندي، المتوفى سنة عشر وستمائة[7]، وغيرهم الكثير.

وفاته: توفي السُّهيلي بمراكش يوم الخميس ودفن وقت الظهر، في السادس والعشرين من شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة[8].

أبرز مؤلفاته: ترك السُّهيلي الكثير من المؤلفات المنوعة، ومن أبرز مؤلفاته: كتاب الرَّوض الأُنُف، وقد تحدَّث فيه عن سيرة رسول الله (ρ)، وكتاب التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن

---

(1) انظر: الفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص182)، والصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج18/ 101).

(2) انظر: الصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج18/ 101)، وابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج3/ 144).

(3) انظر: الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، (ج22/ 69-70).

(4) انظر: المرجع السابق، (ج23/ 208).

(5) انظر: المرجع نفسه، (ج23/ 251).

(6) انظر: الصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج10/ 80).

(7) انظر: الفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص221).

(8) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج3/ 144)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص182)، والصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج18/ 101)، والزركلي، *الأعلام*، (ج3/ 313).

من الأسماء والأعلام، وكتاب شرح آية الوصية، وكتاب نتائج الفكر في النحو، وله على الجمل شرح ناقص لم يكمله، ومسألة رؤية الله (Y) في المنام، ورؤية النبي (ρ)، ومسألة السر في الأعور الدجال، ومسائل كثيرة مفيدة[1].

اتجاهات الفكر النحوي لدى أبي القاسم السهيلي

أولاً: منهجه في التأليف

كان يغلب على السهيلي في منهجه الذي اتَّبعه في تأليف كتبه أنَّه يبتعد عن الاستطرادات والتعريفات والجدل الفلسفي، وكانت عملية سرده تقوم على ما تسمح به اللغة، وما يجوزه الاستعمال من قواعد النحو العربي والتراكيب اللغوية، مستعيناً في أغلب أوقاته بما يحفظه من موروث أدبي، وما هو شائع في الأندلس، وكان يغلب على منهجه المنطق في عرضه للآراء والمسائل النحوية، وتحليله كان يقوم على ذلك، مرتكزاً على الحوار العلمي[2].

قام السهيلي بترتيب موضوعاته في كتابه نتائج الفكر في النحو وفقاً بترتيب كتاب الجمل للزجاجي؛ وذلك لميل قلوب الناس إليه، وهذا لا يعني أنَّ كتابه هذا شرح لكتاب الجمل، إنما سار على طريقته في ترتيب الأبواب والتعليق عليها، وهذا الترتيب ألفه أهل الأندلس، واعتادوا عليه[3].

استعان السهيلي في كتابه نتائج الفكر بمن سبقوه من العلماء، فنراه يجعل كتاب سيبويه مصدراً أساساً له، كما استعان بآراء كثير من النحاة المشارقة وكتبهم مثل: المقتضب للمبرد، ومعاني القرآن للفراء، وأصول النحو لابن السراج، والخصائل لابن جني، وغير ذلك من الكتب البارزة في النحو، والتي كانت من أهم مصادر السهيلي في كتابه، فمن خلال آراء هذه الكتب بنى السهيلي آراءه النحوية.

اشتمل كتابه على عشرات المسائل النحوية، وتم تقسيم هذه المسائل على عدة أبواب وهي: الباب الأول: الإضافة، ومما اشتمل عليه: مسألة إضافة الاسم إلى الله عز وجل،

---

(1) انظر: الفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص182)، وابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج3/ 143)، ، والصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج18/ 101)، والزركلي، *الأعلام*، (ج3/ 314).

(2) انظر: زهار، محمد، *من أعلام الأندلس: السهيلي وكتابه نتائج الفكر*، (ص218).

(3) انظر: السهيلي، *نتائج الفكر في النحو*، (مقدمة التحقيق/ 17)، وانظر: زهار، محمد، *من أعلام الأندلس: السهيلي وكتابه نتائج الفكر*، (ص220).

ومسألة الإضافة في بسم الله، والباب الثاني: أقسام الكلام، ومما اشتمل عليه: مسألة في الاسم، ومسألة في تعريف الفعل، والباب الثالث: الإعراب، ومما اشتمل عليه: مسألة الجزم خاص بالأفعال والخفض بالأسماء، والباب الرابع: الأفعال، ومما اشتمل عليه: مسألة في الفعل بعد الجوازم، ومسألة في إلحاق علامة التأنيث بالفعل، والباب الخامس: النعت، ومما اشتمل عليه: مسألة في أقسام النعت، ومسألة في العامل في النحو، والباب السادس: العطف، ومما اشتمل عليه: مسألة في لكن، ومسألة في لا العاطفة، والباب السابع: الابتداء، ومما اشتمل عليه: مسوغات الابتداء بالنكرة، وإعراب الاسم المرفوع بعد الظرف.

كما تُميَّز السهيلي بطريقة عرضه للمسائل النحوية، ففي كثير من الأحيان كان ينفرد على هذه المسائل بآراء خاصة به لم يسبقه أحدٌ إليها، وتُمثل هذه الآراء موقفه من النحو واللغة[1].

كان أسلوب السهيلي في عرض مسائله أسلوباً تعليمياً، فكان يبدأ بقوله: فإن قيل، ثم يرد عليها بقوله: قلنا.

ثانياً: موقفه من مذهبي البصرة والكوفة

حذا السهيلي حذو نحاة مدرسة الأندلس، وذلك من خلال ملاحظة آراء البصريين والكوفيين، ثمَّ العمل على شرح وتحليل هذه الآراء، واختيار الرأي الأنسب، ولم يكتف السهيلي بذلك فحسب، بل أضاف كثيراً من آرائه التي تفرَّد بها.

الموقف من البصريين

لمَّا وصل كتاب سيبويه إلى الأندلس عكف النحاة عليه قراءة وشرحاً وتفسيراً، على اعتبار أنَّه أول وأهم كتاب جامع لأصول النحو، فقد "تكاثرت نسخه، وصارت كتابهم المقدس في العربية، وإليه تؤول فضيلة النهضة الأندلسية، فقد شُغِف به الأندلسيون والمغاربة، وتنافسوا في إظهاره"[2].

وكان السهيلي واحداً من هؤلاء العلماء الذين استعانوا بكتاب سيبويه، ومن أبرز ما اختاره السهيلي موافقاً ومؤيداً لسيبويه ما عرضه في باب أقسام الكلام حيث نقل عن أبي

---

[1] انظر: زهار، محمد، *من أعلام الأندلس: السهيلي وكتابه نتائج الفكر*، (ص221).

[2] الطنطاوي، نشأة النحو، (ص221).

القاسم الزجاجي أنَّه قال عنها: أقسام الكلام ثلاثة: اسم وفعل وحرف، وردَّ عليه بأنَّ هذه العبارة على طولها مردودة، وأنَّ عبارة سيبويه على إيجازها صحيحة حيث قال فيها: الكلم: اسم وفعل وحرف[1].

ومن أبرز الآراء التي أيَّد فيها السهيلي البصريين:

- ❖ أيَّد البصريين في قوله أنَّ الفعل الماضي لا يجوز أن يقع حالاً أبداً، وأجمع البصريون على أنَّه يجوز أن يقع حالاً إذا كانت معه (قد)، أو كان وصفاً لمحذوفٍ[2]، لكنَّ السهيلي لم يُشر لهذا الاجماع، واكتفى بتأييدهم في قضية أنَّه لا يجوز ذلك، وأعطى مثالاً على ذلك فقال: لا تقول جاء زيد ضحك، فهنا لا يمكن أن نجعل هذا الفعل في حالة الحال؛ لأنه لا يوجد جامع بينهما[3]، أما الكوفيون فذهبوا إلى أنَّ الماضي يجوز أن يقع حالاً[4].
- ❖ ذهب البصريون في مسألة الفعل والمصدر أيهما أصل، وأيهما مشتق من الآخر، إلى أنَّ الفعل مشتق من المصدر، وأنَّ المصدر أصل، أمَّا الكوفيون فذهبوا إلى أنَّ المصدر مشتق من الفعل، وأنَّ الفعل هو الأصل[5]، وهنا نجد السهيلي قد أيَّد البصريين في هذه المسألة[6].

الموقف من الكوفيين

المعلوم أنَّ النحو في الأندلس بدأ كوفياً، ثم ما لبث أن تحوَّل بصرياً، ولكن التأثير الكوفي لم ينقطع عن نحاة الأندلس، وبقي مؤثراً فيهم "حتى بعد ظهور النحو البصري، والاتجاه البغدادي هناك، وإنَّه لم لينقطع عنه حتى بعد ظهور مدرسة الأندلس النحوية في

---

(1) انظر: السهيلي، *نتائج الفكر في النحو*، (ص49).

(2) انظر: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، (ص212).

(3) انظر: السهيلي، *نتائج الفكر في النحو*، (ص110)، وانظر: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، (ص212)

(4) انظر: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، (ص212)

(5) انظر: الأنباري، أسرار العربية، (ص103).

(6) السهيلي، *نتائج الفكر في النحو*، (ص53-54).

القرنين السادس والسابع الهجريين، مّمثلاً في كثير من أعلام النحو هناك الذين كانوا يميلون أحياناً إلى آراء الكوفيين"[1].

كان السهيلي واحداً من علماء الأندلس الذين اطَّلعوا على المذهب الكوفي واستوعبوه، ما جعله يقف معهم في عدد من المسائل، ومن أبرزها:

- ❖ وافق السهيلي رأي الكوفيين الذي يقول أنَّ لكن مركبة من لا، وإن، لكنه اختلف معهم في الكاف، حيث يقول الكوفيون بأنها للخطاب، بينما يرى السهيلي أنها للتشبيه، ومثَّل السهيلي على ذلك بقوله: "إذا قلت ذهب زيدٌ لكنَّ عمراً مقيمٌ، تريد: لا كفعل عمرو، فلا لتوكيد النفي عن الأول، وإن لإيجاب الفعل الثاني، وهو المنفي عن الأول؛ لأنك ذكرت الذهاب الذي هو ضده فدل على انتفائه"[2]
- ❖ أيَّد السهيلي رأي الكوفيين في أنَّ حرف الجر (مِنْ) يكون لابتداء الغاية المكانية والزمانية، مخالفاً البصريين الذين يرون أنَّها لا تفيد إلا ابتداء الغاية المكانية[3]، واستدل على (مِنْ) تأتي للزمان بقوله تعالى: (**لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ** ۚ)[4]، ويقول معلِّقاً على ذلك بأنَّ القبل والبعد في هذه الآية للزمان[5].

ثالثاً: ملامح التجديد في اتجاهات السهيلي النحوية

لم يكتفِ السهيلي بعرض آراء النحويين السابقين وشرحها واختيار ما يراه مناسباً، بل سعى إلى ترك بصمة له في هذا المضمار، فنراه ينفرد ببعض الآراء النحوية الخاصة به، ومن أبرزها ما يلي:

- ❖ أضاف في مسألة الفعل المتعدي إلى مفعولين أصلاً ينبني عليه، وهو "أن تنظر إلى كل فعل حصل منه في الفاعل صفة ما، فهو الذي يجوز

---

(1) الهيتي، عبد القادر، *خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري*، (ص38).

(2) السهيلي، *نتائج الفكر في النحو*، (ص200).

(3) انظر: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، (ص315).

(4) الروم: 4].

(5) السهيلي، *الرَّوضُ الأُنُف في شرح السيرة النبوية لابن هشام*، (ج4/ 156).

فيه النقل؛ لأنك إذا قلت أفعلته، فإنما معناه: جعلته على هذه الصفة، وقلما ينكسر هذا الأصل في غير المتعدي إذا كان ثلاثياً نحو: قعد وأقعدته، وطال وأطلته"[1]، ويقصد السهيلي بالفاعل ما صار مفعولاً بعد أن صار الفعل متعدياً، فإذا أمكن أن يكتسب هذا الفاعل –بعد أن يصير مفعولاً– صفة جاز النقل.

- ❖ يرى السهيلي أنَّ الفاعل لا يُمكن أن يُحذف من الجملة الفعلية؛ وذلك لأن الفعل قد بُني للدلالة على معنى فيه؛ لأن الاسم المخبر عنه؛ لذا وجب ألا يخلو الفاعل من الجملة الفعلية، ويجب أن يكون مضمراً أو مظهراً[2]، أمَّا المفعول به فيرى أنَّه يمكن حذفه، ويعلل ذلك بقوله: "ليس اعتماد الفعل عليه كاعتماده على الفاعل، ألا ترى أنَّه يُحذف، والفاعل لا يُحذف"[3].
- ❖ عدَّ السهيلي (إنْ) الشرطية أصلاً لـ (إنْ) النافية، ففي تعليقه على قوله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ**)[4]، يقول: "ولو جعلت مكان (إن) ههنا غيرها من حروف النفي لم يحسن فيه مثل؛ هذا لأنَّ الشرطية أصل للنافية، كأن المجتهد في النفي إذا أراد توكيد الجحد يقول: إن كان كذا وكذا فعلى كذا، أو فأنا كذا، وكثر هذا في كلامهم حتى حُذف الجواب وفُهم المقصد، فدخلت (إن) في باب النفي"[5].

---

[1] السهيلي، *نتائج الفكر في النحو*، (ص253).

[2] انظر: السهيلي، *نتائج الفكر في النحو*، (ص57).

[3] المرجع السابق، (ص57-58).

[4] فاطر: 41].

[5] انظر: السهيلي، *نتائج الفكر في النحو*، (ص116).

ثانياً: ابن مضاء القرطبي

نسبه، ومولده: أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء بن مهند بن عمير اللخمي، القرطبي الجياني الأصل، يُكنَّى بأبي جعفر وأبي العباس وأبي القاسم والأخيرة قليلة، كان مولده بقرطبة سنة إحدى عشرة، وقيل ثلاث عشرة وخمسمائة[1].

طلبه للعلم، وأهمُّ شيوخه: من أبرز العلماء الذين تتلمذ على يدهم ابن مضاء: أبو طاهر محمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف، المازني، السرقسطي، إمام اللغة والأدب، له المقامات اللزومية، وهي غريبة، مات بقرطبة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة[2]، ومحمد بن مسعود بن خلصة بن فرج بن مجاهد بن أبي الخصال الغافقي النحوي الأديب، الذي توفي في ذي الحجة من سنة أربعين وخمسمائة[3]، وأبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله ابن إبراهيم التميمي المازني السرقسطي، يعرف بابن الأشتركوني، مات بقرطبة يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة[4].

أبرز تلاميذه: أبرز من تتلمذ على يدي ابن مضاء: أبو القاسم أحمد ابن أبي الوليد يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن شيخ الأندلس الحافظ بقي بن مخلد الأموي مولاهم، البقوي، القرطبي، المالكي، قرأ جميع كتاب سيبويه على ابن مضاء، توفي يوم الجمعة، بعد الصلاة، منتصف رمضان، سنة خمس وعشرين وست مائة، بقرطبة[5]، وأبو الحسين محمد ابن الإمام الكبير أبي عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد الأنصاري، الإشبيلي، ابن زرقون، المتوفى سنة اثنتين وعشرين وست مائة[6]، وأبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن يوسف الأنصاري، القرطبي، المالكي،

---

(1) انظر: اليعمري، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*، (ج1/ 208و211)، والزركلي، *الأعلام*، (ج1/ 14)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص74).

(2) انظر: الفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص290).

(3) انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 243).

(4) انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 279).

(5) انظر: الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، (ج22/ 274-276).

(6) انظر: المرجع السابق، (ج22/ 311-312).

المتوفى بمراكش، في ربيع الأول، سنة إحدى وخمسين وست مائة[1]، وسهل بن محمد بن سهل بن محمد بن احمد بن إبراهيم بن مالك أبو الحسن الأزدي الغرناطي، المتوفى سنة أربعين وستمائة[2].

وفاته: توفي ابن مضاء القرطبي بإشبيلية بالأندلس سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة[3].

أبرز مؤلفاته: ذكرت كتب التراجم والنحو ثلاثة كتب لابن مضاء، وهي تنزيه القرآن عما لا يليق من البيان، والمشرق في إصلاح المنطق في النحو، وهما كتابان مفقودان، وكتابه المنشور هو الرد على النحاة[4]، وقد اشتمل على كثيرٍ من الآراء المخالفة لأئمة النحو.

اتجاهات الفكر النحوي لدى ابن مضاء القرطبي

أولاً: منهجه في التأليف

ذكرت المصادر النحوية وكتب التراجم أنَّ ابن مضاء ترك ثلاثة كتب في النحو العربي، وهي: كتاب الرد على النحاة، وكتاب المشرق في النحو، وكتاب تنزيه القرآن عمَّا لا يليق بالبيان[5]، لكن لم يصل لنا من هذه الكتب غير كتاب واحد وهو كتب الرد على النحاة، ومن خلال الاطلاع على هذا الكتاب يلاحظ في القارئ أنَّ المنهجية التي سار عليها ابن مضاء تقوم على شنَّ هجومٍ على النحاة.

وكانت حملة ابن مضاء موجهة إلى جميع النحاة وخاصة نحاة البصرة، ويستهل ابن مضاء كتابه بقوله: "أمَّا بعد، فإنه حملني على هذا المكتوب قول الرسول (ρ): الدِّينُ النَّصِيحَةُ، وقوله (ρ): من رأى منكم منكراً فيُغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع

---

(1) انظر: المرجع نفسه، (ج23/ 304-305).

(2) انظر: الصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج16/ 15-16).

(3) انظر: اليعمري، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*، (ج1/ 211)، والزركلي، *الأعلام*، (ج1/ 146)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص74).

(4) انظر: الزركلي، *الأعلام*، (ج1/ 146).

(5) انظر: اليعمري، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*، (ج1/ 210)، والزركلي، *الأعلام*، (ج1/ 146)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص74).

فقلبه"[1]، ومن هنا نجد أنَّه أراد أن يأخذ بسنة رسول الله (ρ) من خلال تقديم النصح والإرشاد، ولكنه في ذات الوقت يرى أنَّ ما يقوم به النحاة منكراً أو أمراً غير مقبولٍ؛ لأنه "يراهم ضلوا وأضلوا الناس في وعثاء النحو وشعابه، وكثرة ما فرَّعوا فيه من فروع، وأقاموا من حجج وعلل، وإنَّه لينبغي أن يُنفض ذلك كله عن النحو"[2].

تكوَّن كتاب ابن مضاء من ثلاثة أهداف أساسية وهي: إلغاء العوامل النحوية، وإسقاط العلل الثواني والثوالث، وإسقاط التمارين، وكان ابن مضاء في عرضه لهذه المسائل وغيرها يقوم على سرد أراء النحاة، ثم يعارض هذه الآراء مبرزاً الأسباب التي دفعته إلى ذلك.

ثانياً: موقفه من النحاة وملامح التجديد في فكره النحوي

يتضح من خلال المقدمة التي تحدَّث فيها ابن مضاء القرطبي في كتابه الرد على النحاة أنَّه يرى بأنَّ النحاة وضعوا قواعد النحو العربي ساعين لحفظه من اللحن، وصيانته من التغيير، وأنهم قد وصلوا إلى الغاية التي أرادوها، لكنهم بالغوا فيها بعد ذلك، والتزموا ما لا يلزمهم، وتجاوزوا القدر الكافي، فأصبحت مسالكه صعبة على المتلقين، وأصبحت الحجج غير مقنعةٍ[3].

❖ **إلغاء العوامل النحوية**

سعى ابن مضاء من خلال هذا الباب إلى إلغاء نظرية العامل، وقد أوضح ذلك بشكل صريح عندما قال: "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبِّه على ما أجمعوا على الخطأ منه"[4].

تناول ابن مضاء موضوع العامل بداية بعرض هذه النظرية من خلال رأي سيبويه القائل بأنَّ النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، ثمَّ انتقل إلى رأي ابن جني الذي يعارض سيبويه، إذ يقول بأنَّ العمل في الرفع والنصب والجزم والجر إنما هو للمتكلم

---

[1] ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: ضيف، (ص71).

[2] المرجع السابق، (مقدمة التحقيق/ 24).

[3] انظر: ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: ضيف، (ص72).

[4] المرجع السابق، (ص76)، وانظر: عمار، ربيح، *ابن مضاء القرطبي: ثورة في الفقه، ثورة في النحو*، (ص296).

نفسه لا لشيء غيره[1]، وكأنَّ ابن مضاء رضي ما نسبه ابن جني من أنَّ العمل الحقيقي إنما هو للمتكلم، وليس كما يقوله النحاة، ثم رأى ابن مضاء بأنَّه لو كان ما قاله النحاة من باب المجاز لا الحقيقة، وذلك على سبيل التشبيه والتقريب فإنَّه من الممكن أن يغفر لهم ذلك، أمَّا إن أصروا على اعتقادهم بأنَّها عوامل حقيقية فلا يجوز اتباعهم[2].

مضى ابن مضاء بعد ذلك إلى بحث العوامل المحذوفة؛ ليدلَّ على مدى فسام نظرية العامل، وجعل هذه العوامل ثلاثة أقسام: أمَّا الأول: محذوف لا يتم الكلام به حُذف لعلم المخاطب به، كقوله تعالى: (**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا**)[3]، أي: أنزل خيراً، وحذفت كلمة أنزل لعلم المخاطب بها، أمَّا الثاني: محذوف لا حاجة بالقول إليه، بل هو تام دونه، وإن ظهر كان عبثاً، كما في (أزيداً ضربته)، حيث يقول النحاة بأنَّ (زيداً) نُصب لفعل مضمر، ويرى ابن مضاء هذا التقدير تكلُّفاً وضعه النحاة بسب القاعدة التي وضعوها، والتي تنصُّ على أنَّ كل منصوب لا بد له من ناصب، أمَّا الثالث: فهو مضمر وإذا ظهر تغيَّر الكلام عمَّا كان عليه، كما في (يا عبد الله)، فالنحاة يرون أنَّ كلمة (عبد الله) نُصبت لفعل مضمر تقديره (أدعو)، لكنَّ ابن مضاء يرفض ذلك؛ لأنَّ ظهور هذا الفعل سيحوِّل العبارة من الإنشاء إلى الإخبار[4].

❖ **إلغاء العلل الثواني والثوالث**

دعا ابن مضاء لإلغاء العلل الثواني والثوالث، وقام بضرب مثالٍ على ذلك فقال: "وذلك مثل سؤال سائل عن (زيد) من قولنا: قام زيدٌ، لِمَ رُفع؟ فيُقال: لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع، فيقول: ولِمَ رُفع الفاعل؟ فالصواب أن يُقال: كذا نطقت به العرب"[5].

من خلال آراء ابن مضاء نجد أنَّه لا يُعارض العلل كلها، مع أنَّ المذهب الظاهري الذي ينتمي إليه –خاصة ابن حزم الأندلس– يعارضها، وأقرَّ ابن مضاء العلة الأولى؛ لفائدة

---

[1] انظر: ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: ضيف، (ص76-77).

[2] انظر: ابن مضاء، *الرد على النحاة*، تح: البنا، (مقدمة التحقيق/ 12-13)، وانظر: ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: ضيف، (ص76-78).

[3] النحل: 30].

[4] انظر: ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: ضيف، (ص78-80).

[5] المرجع السابق، (ص130).

تعليمية، أمَّا العلل الثواني والثوالث فإنه يرى أنها لا تُفيد في شيء، وتجاهلها لا يضرُّ[1]، وبالنظر إلى المثال الذي قدَّمه ابن مضاء، نرى أنَّه يسعى إلى التيسير والتخفيف عن المتعلمين، فبدلاً من الغوص والبحث في معرفة السبب الذي جعل الفاعل مرفوعاً، نعود إلى أصل ذلك بالقول أنَّ العرب هكذا نطقوها، خاصة أنَّ اللغة العربية لغةٌ منقولةٌ، وقواعد النحو العربي وُضعت لتحفظ هذه اللغة وتنقلها بالأصل والكيفية التي كانت عليها؛ لذا لا يوجد داعي لتعقيد الأمور والبحث عن علل يبدو أنَّ الكثير منها يُمكن تبسيطه.

مع أنَّ ابن مضاء قد دعا إلى إلغاء العلل الثواني والثوالث إلا أنَّه يُمكن أن يقبل جزءاً من العلل الثواني، حيث قسَّم ابن مضاء العلل الثواني إلى ثلاثة أقسام وهي: قسم مقطوع به، وقسم فيه إقناع، وقسم مقطوع بفساده، وقد يقبل ابن مضاء بالقسم الأول منها وهو المقطوع به، مثل العلة التي تذهب إلى أنَّ كل ساكنين التقيا في الوصل وليس أحدهما حرف لين، فإنَّ أحدهما يحرَّك؛ لعدم تمكن الناطق من نطقها[2].

❖ **إلغاء التمارين**

دعاء ابن مضاء لإلغاء التمارين التي يفترضها النحاة للتدريب على إحكام الإعلال والإدغام، حيث يقول: "ومما ينبغي أن يسقط من النحو (ابنِ من كذا مثال كذا) كقولهم: ابنِ من البيع مثال (فُعْل)، فيقول قائل: بوع، أصله بُيْع، فيبدل من الياء واواً؛ لانضمام ما قبلها؛ لأنَّ النطق ثقيل"[3].

يُبيِّن ابن مضاء أنَّ ما ساقه النحاة من علل على هذه المسألة لا حاجة منها، وأنَّها تُشغل النحاة بأشياء لا حاجة لنا بها، فما الفائدة من صوغ بوع، أو بُيْع التي لم تأتِ عن العرب، والتي لسنا في حاجة إلى استعمالها[4].

---

(1) انظر: عبد الكريم، بكري، *أصول النحو العربي: في ضوء مذهب ابن مضاء القرطبي*، (ص76)، وانظر: ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: ضيف، (مقدمة التحقيق/ 35-36).

(2) انظر: ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: ضيف، (مقدمة التحقيق/ 37-38).

(3) ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: ضيف، (ص138).

(4) انظر: المرجع السابق، (مقدمة التحقيق/ 44)، وانظر: عمار، ربيح، *ابن مضاء القرطبي: ثورة في الفقه، ثورة في النحو*، (ص294).

إنَّ المثال السابق الذي قدَّمه ابن مضاء يُمكن أنْ يكون حجةً له في الدعوة إلى إلغاء التمارين، ولكن هل يُمكن أن ينفع ذلك مع كافة التمارين؟ وهل يُعقل أنَّ كل التمارين التي صاغها النحاة يُمكن الاستغناء عنها؟ بالتأكيد لا يُمكن الاستغناء عنها جميعاً؛ وذلك لأنَّ الكثير من هذه التمارين بُني عليها أحكام نحوية، أو بُنيت من خلال أحكام نحوية، ولكن هذا لا يمنع أن يكون هناك بحثٌ معمَّقٌ في هذا الموضوع، وأن تتم دراسة هذه المسائل وملاحظة مدى أهميتها، والتعرُّف على الأسباب التي جعلت النحاة يقومون بها.

إنَّنا ومن خلال متابعة كتاب الرد على النحاة والذي كان بتحقيق الدكتور شوقي ضيف، والدكتور محمد البنا، نجد أنَّ هناك فارقاً كبيراً بين الشخصين، ظهر جلياً في مقدمة التحقيق لديهما، فالدكتور شوقي ضيف كان أكثر حماسة للكتاب –بحكم أنَّه أول من عثر عليه وحقَّقه– وشارك ابن مضاء في هجومه على النحاة، حيث يقول: "وما من ريب أنَّ من يقرأ كتاباً مُطولاً في النحو كشرح السيرافي على كتاب سيبويه، أو شرح أبي حيان على التسهيل يحسُّ أنَّ النحاة أفسدوا النحو بكثرة ما وضعوا فيه من فروع، وعلل وأصول وأقيسة ومسائل غير علمية"[1]، وتبني الدكتور شوقي ضيف الأفكار الواردة في كتاب ابن مضاء، دفعه إلى الدعوة لتجديد النحو وتيسيره، ولا شكَّ أنَّ هذه الدعوة دعوةٌ حميدةٌ فيها خير للغة العربية وللناطقين بها، ولكنَّ هذا التيسير يجب ألا يغفل الهدف الأول والأساس للنحو العربي والذي يتمثل في صيانة اللسان العربي من الوقوع في اللحن، ما فائدة التعرُّف على قواعد النحو العربي وعند التطبيق نجهل ذلك، أو نقع في اللحن؟ إذن يجب علينا أن نكون حريصين في هذه المسألة المهمة.

أمَّا بالنظر إلى تحقيق الدكتور محمد البنا نجد أنَّه كان أكثر اتزاناً، وكان حيادياً إلى مدى كبير، فهو دافع عن النحاة، ووقف إلى جانبهم، وفي ذات الوقت حفظ حق ابن مضاء، ولم يُنكر جهده، وقد قال عن ذلك: "لا نجد تفسيراً مُقنعاً لإقبال العاصرين على كتاب ابن مضاء إلا أنَّه صدَّر كتابه بعبارته: (قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبِّه على ما أجمعوا على الخطأ منه)، وكان أمر النحو يُشغل العلماء والمثقفين ورجال التربية في هذه الفترة، ومن هنا أقبلوا عليه يدرسونه، ولعلَّهم قد وجدوا فيه ما وجدنا،

[1] ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: ضيف، (مقدمة التحقيق/ 44).

وأدركوا أنَّ ابن مضاء قد أثار الظمأ فيهم دون أن يرويهم، لكنا لا ينبغي أن نغفل ما تضمَّنه من الآراء الصائبة، وأنَّه أسهم إلى حدٍ كبيرٍ في إثراء الدراسات اللغوية في عصرنا"[1].

يمكن أن نقول بأنَّ تجربة ابن مضاء لها ما لها وعليها ما عليها، لكنَّ الواضح أنَّه كان صادقاً في نواياه، وكان هدفه الإصلاح، والبعد عن التكلُّف الزائد، ونظنُّ أنَّ ما وصل له النحو في تلك الفترة هو نتيجة طبيعية، تتحكم بها الظروف والعوامل المؤثرة في النحو، والتي تؤثر على المجتمع، فبالتأكيد أنَّ أحوال النحو العربي كانت مختلفة باختلاف الأحوال السياسية مثلاً، لأنَّ الأمان والاستقرار يولد نهضة فكرية، أمَّا الانشغال في الأحوال السياسية وتقلباتها سيشغل العلماء والمتلقين، وسيبحثون على أيسر الحلول وأسهلها، وهذا بالضبط ما حدث مع ابن مضاء، حيث إنَّ الفترة التي سبقته كانت تتسم بالاستقرار، والراحة النفسية في المجتمع، ما دعا العلماء إلى التبحر في مختلف المجالات، وازدادت أعداد المتعلمين، ولم يكن التوسع في العلوم مشكلة بالنسبة لهم، فالعوامل النحوية مثلاً كانت سبباً من أسباب إعمال الفكر لديهم، بينما في عصر ابن مضاء الذي شهد تقلبات سياسية وخلافات فقهية أدت إلى انشغال العلماء وتلاميذهم بأمور مختلفة، فلم يعد المجتمع يبذل جهوداً كبيرة في البحث والتفكير، ما دعاهم للبحث في أمور سهلة ومختصرة، فبدأوا يشعروا بأنَّ ما تفرَّع به النحاة في آرائهم ومسائلهم أصبح صعباً عليهم، ولكن السؤال المطروح هل ابن مضاء وحده من شعر بذلك؟ ولماذا لم نجد آراء مشابهة لما لديه لدى علماء آخرين كالسهيلي مثلاً؟

يعتقد الباحث أنَّ كتاب ابن مضاء كان تعبيراً عن واقع المجتمع الذي بات يُعاني من كثرة فروع النحو، وصعوبة التعامل معه، لكنه بدلاً من البحث عن البدائل والحلول لهذه المشكلة، بات يصوِّر ويُجسد هذه المشكلة، وبنبِّه لخطرها ولم يعط حلولاً لها، ويبدو علماء النحو وتلاميذه لم يُعيروا اهتماماً كبيراً لما قاله ابن مضاء؛ لأنه لم يُرشدهم إلى الحل، فطرحُ المشكلةِ دون حلٍّ لا يكفي.

الخاتمة:

- ❖ يعد القرن السادس الهجري بداية الظهور القوي للمدرسة الأندلسية النحوية، فقد فرضت آراء نحاة القرن السادس نفسها على من بعدهم، وأصبحوا نموذجاً لهم، وبات

[1] ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: البنا، (مقدمة التحقيق/ 44).

العلماء اللاحقون يقارنون آراءهم بآراء نحاة البصرة والكوفة وبغداد، ففرض نحاة القرن السادس من الأندلس آراءهم، وشكلوا نهضة للمدرسة الأندلسية.

- ❖ أضاف نحاة القرن السادس الهجري عدداً من الآراء الفريدة، غير المسبوقة، وبرز نحاة الأندلس كثيراً في هذا الجانب، حيث لم يكتفِ النحاة بالنقل عن المشارقة فحسب، بل أبدعوا في هذا المضمار وسجلوا بصماتهم فيه، كما ارتكزت دعوات تجديد النحو، أو تيسيره، وخاصة عند الدكتور شوقي ضيف على مُخرجات الفكر النحوي في القرن السادس الهجري.
- ❖ تعدُّ الآراء المهمة التي قدَّمها أبو القاسم السهيلي، وابن مضاء القرطبي مثالين من أبرز الأمثلة على ازدهار الفكر النحوي في الأندلس خلال القرن السادس الهجري، فقد مثَّلا اتجاهين مختلفين، أحدهما اتجاه محافظ، لكنه لا يخلو من التجديد، وقد برز لدى أي القاسم السهيلي، والآخر ناقد هجومي تجديدي، وقد برز لدى ابن مضاء القرطبي.

ا

قائمة المصادر والمراجع

- لقرآن الكريم

أولاً: الكتب

- الحموي، ياقوت بن عبد الله. (1993م)، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: عباس، إحسان، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد. (1977م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: عباس، إحسان، د.ط، بيروت: دار صادر
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. (1985م)، سير أعلام النبلاء، تح: الأرناؤوط، شعيب وآخرين، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر
- روّاي، صلاح. (2003م)، النحو العربي: نشأته تطوره مدارسه رجاله، د.ط، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر
- الزركلي، خير الدين. (2002م)، الأعلام: قاموس تراجم، ط15، بيروت: دار العلم للملايين.
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله. (2000م)، الرَّوضُ الأُنُف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تح: السلامي، عمر عبد السلام، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله. (1992م)، نتائج الفكر في النحو، تح: عبد الموجود، عادل، ومعوض، علي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1979م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: إبراهيم، محمد، ط2، بيروت: دار الفكر.
- الصفدي، صلاح الدين. (2000م)، الوافي بالوفيات، تح: الأرناؤوط، أحمد، ومصطفى، تركي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- ضيف، شوقي. (1992م)، المدارس النحوية، ط7، القاهرة: دار المعارف.
- الطنطاوي، محمد. (1995م)، نشأة النحو: وتاريخ أشهر النحاة، ط2، القاهرة: دار المعارف
- عبد الكريم، بكري. (1999م)، أصول النحو العربي: في ضوء مذهب ابن مضاء القرطبي، ط1، الجزائر والقاهرة والكويت: دار الكتاب الحديث.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (2000م)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تح: المصري، محمد، ط1، دمشق: دار سعد الدين.
- القفطي، علي بن يوسف. (1986م)، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تح: إبراهيم، محمد أبو الفضل، ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، وبيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1997م)، البداية والنهاية، تح: التركي، عبد الله، ط1، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر
- ابن مضاء، أحمد بن عبد الرحمن القرطبي. (1979م)، الرد على النحاة، تح: البنا، محمد إبراهيم، ط1، القاهرة: دار الاعتصام
- ابن مضاء، أحمد بن عبد الرحمن القرطبي. (1982م)، الرد على النحاة، تح: ضيف، شوقي، ط2، القاهرة: دار المعارف.
- الهيتي، عبد القادر. (1993م)، خصائي مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، ط2، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس.
- ولد أبّاه، محمد المختار. (2008م)، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية.
- اليعمري، برهان الدين إبراهيم بن علي. (1972م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: الأحمدي، محمد، د.ط، القاهرة: دار التراث للطبع والنشر.

ثانياً: الرسائل الجامعية، والدوريات

- عصيدة، فادي. (2006م)، جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.

- زهار، محمد. (2007م)، من أعلام الأندلس: السهيلي وكتابه نتائج الفكر، مجلة الأثر الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة– الجزائر، ع6، ماي/مايو، (ص 283–308).

عمار، ربيح. (2009م)، ابن مضاء القرطبي: ثورة في الفقه، ثورة في النحو، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة– الجزائر، ع5، جوان/يونيو، (ص 283–308)